بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد وآله الطيبين الطاهرين

واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

لا يزال الكلام حول البحث الأول من سورة لقمان، ألا وهو البحث حول الحروف المقطعة في أوائل السور القرآنية، وقد ذكرنا في الجلسة السابقة أن لهذه الحروف ثلاثة أنحاء من التفسيرات، ومضى الكلام حول النحو الأول منها وهو المستفاد من الروايات الشريفة، ونقف في هذه الجلسة على النحو الثاني والثالث.

النحو الثاني: أن هذه الحروف المقطعة من خلال جعلها في أوائل السور عبارة عن مادة بنيوية وُضعت بهدف التدبر في القرآن الكريم الذي يقود للإيمان بأنها سماوية وليست بشرية.

ومن أجل أن يتضح ذلك لا بد من بيان مجموعة من الأمور:

الأمر الأول: أن القرآن الكريم قد أمر بالتدبر في آياته: فقال عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِّ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[١]، وقال تبارك وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٢].

والتدبر في آيات القرآن الكريم على صنفين:

الصنف الأول: **التدبر المضموني**: وهو عبارة عن التأمل في مضمون الآيات لأجل الوصول إلى غاية معينة، مثلا التأمل في مضمون قوله تعالى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ ناراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُونَ اللهَّ ما أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾[٣]، من أجل الاتعاظ والانزجار والاعتبار، ومن قبيل التدبر في مضمون قوله تعالى: ﴿لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[٤] من أجل معرفة دقة نظام الكون وبديع ترتيبه وتكوينه.

---

(١) سورة النساء (٨٢)

(٢) محمد (٢٤)

(٣) التحريم (٦)

(٤) يس (٤٠)

الصنف الثاني: التدبر البنيوي: بمعنى أن هناك مجموعة من الألفاظ التي ذُكرت في القرآن الكريم لم توضع بإزاء معنى معين، وإنما هي عبارة عن مادةٍ متكونة من مجموعة من الحروف يعبر عنها (بالمادة البنيوية)، ذُكرت في القرآن الكريم لا لأجل أن تدل – بما هي حروف – على مضامين معينة بل لأجل أن تكون مادة للتدبر، والوجه في كونها مادة للتدبر صلاحيتها لأن تتسع لعدة معاني في عدة حقول.

ولتوضيح الفكرة نقرب بمثالين: الخميرة التي تستعمل في صنع العجين، وهي – أي الخميرة – ليس لها شكل معين، ولكن يمكن للإنسان أن يجعل منها أشكالاً عديدة، فهي في نفسها صالحة للتشكل بعدة أشكال. أو المادة الطينية – مثلاً – صالحة لأن تتحدد بعدة صور وبعدة أشكال.

هناك أيضاً مجموعة من الحروف في القرآن الكريم لديها الصلاحية والقابلية لأن تتسع لعدة مضامين ولعدة معاني في حقول مختلفة، من دون أن تكون موضوعة لمعنى من هذه المعاني أو وضعت بإزاء مضمون من هذه المضامين، ونتيجة اتساعها وتحملها لعدة معاني مختلفة يكون ذلك مُشيرا إلى أنها مادة سماوية، وإلا فلا يتُصور في المادة البشرية أن تكون لها هذه السعة والقابلية لتحمل مجموعة كبيرة من المعاني والحقول التي تتناسب معها.

الأمر الثاني: أن العرب – خصوصاً عرب الجاهلية – مع براعتهم الأدبية وذوقهم الأدبي لم يطعنوا في القرآن الكريم بهذه الحروف، فلم يقولوا مثلاً بأن القرآن اشتمل على حروف لا معنى لها مما يدل على سخف القرآن، أو قالوا إن وجودها يدل على بشرية القرآن، بل وقفوا أمام هذه الظاهرة مذهولين مدهوشين ، يحاولون فهم الربط بينها وبين القرآن الكريم فكان وجودها أمرا مثيرا للتساؤل والدهشة، فعدم طعنهم في القرآن بالسخرية والاستهزاء لاشتماله على هذه الحروف يكشف عن كونهم قد التفتوا إلى بعض المعاني التي ترمز وتشير إليها هذه الحروف، ولذا لم يكن وجودها موجبا للاستهجان والاعتراض مع ملاحظة حالتهم التي كانوا عليها من الاهتمام البالغ بفصاحة الكلام وبلاغته وتنافسهم في ذلك.

الأمر الثالث: إذا لاحظنا الآيات التي تعقب الحروف المقطعة نجدها تربط بين هذه الحروف وبين القرآن الكريم، ونضرب لذلك عدة أمثلة:

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿حم ۞ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ البقرة (٢).

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ يونس (١).

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ يوسف (١).

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿المٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الرعد (١).

قَالَ اللهُ جَلَّ فِي عُلاه: ﴿الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ الحجر (١).

قَالَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ: ﴿طسٓ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ النّمل (١).

قَالَ اللهُ جَلَّ وعَلَا: ﴿المص*كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الأعراف (٢).

مما يؤكد ظهور هذه الآيات المتعقبة للحروف المقطعة في الربط بين الحروف المقطعة وبين عظمة القرآن الكريم وكونه كتابا سماويا، وهذه الإشارة تجدها واضحة في مثل قوله تعالى في سورة البقرة عندما قال تعالى: (حم *ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) فإنها تربط بين هذه الحروف وبين الكتاب، ونتيجة هذا الربط عدم الريب في القرآن.

الأمر الرابع: أن مقتضى التدبر في ربط هذه المادة البنيوية بما هي مادة – بما هي حروف – لا بما هي ألفاظ وُضعت لمعاني معينة بآيات الكتاب أن هذه المادة اشتملت على عدة إشارات ورموز لمداليله ومضامينه في حقول مختلفة، نشير إليها ثم نعقب على ذلك:

الحقل الأول: الحقل الغيبي.

مر في الجلسة السابقة مجموعة من الروايات التي رواها الشيخ الصدوق عليه الرحمة تدل على أن هذه الحروف حروف من الاسم الاعظم وهذا قد يشير إلى الربط بين كتاب القرآن وكتاب الوجود، وتفصيل ذلك:

هناك مشاكلة ومشابهة بين كتاب التكوين وكتاب التشريع، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ الأنعام (٥٩).

فهذه الآية تشير إلى أن لهذا الوجود كتابا يشتمل على أسراره وألغازه وجميع ما يحل فيه وهو المعبر عنه بكتاب التكوين، وكما أن للوجود كتابًا يشتمل على كل أسراره فلعالم التشريع والتقنين أيضًا كتاب ـ ألا وهو القرآن الكريم ـ يشتمل على كل اسراره ودقائقه، كما في قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ النحل (٨٩). فهناك هناك مشاكلة ومشابهة بين كتاب الكون وكتاب

التشريع وهو القرآن الكريم من حيث الجامعية للأسرار والدقائق.

وكما أن لكتاب الكون مفاتيحا هي عبارة عن الاسم الأعظم حيث بدأ الوجود بأسمائه تعالى فكذلك لهذا الكتاب وهو القرآن الكريم مفاتيح هي رموز لمعالمه وألغازه التي تدل على عظمته، وتلك المفاتيح هي فواتح السور، ومقتضى المشاكلة بين عالم التكوين وعالم التشريع بين هذين الكتابين أن مفاتيح السور المذكورة في تسع وعشرين سورة هي أيضا رموز وحروف تشير إلى مضامين معينة تدل على عظمة القرآن الكريم التي هي مظهر لعظمة الإسم الأعظم، ومن هنا نفهم ما ذكرناه سابقا من تفسير بعض الروايات التي ذكرناها سابقا والتي تفسر هذه الحروف بأنها من حروف الاسم الأعظم، فباسمه الأعظم فُتح كتاب التكوين وأُبدع كتاب التشريع.

الحقل الثاني: الحقل التاريخي.

ذكر جملة من المفسرين –نحو تفسير الجلالين– تقسيم الكتاب إلى مكي ومدني، وتقسيم السورة الواحدة الى آيات مكية ومدنية، ومن هنا تأمل بعض علمائنا المفسرين في هذه الحروف فقالوا لا يبعد أن هذه الحروف إشارة الى الدور المكي في آيات القرآن، حيث إن القرآن الكريم مر بمرحلتين مكية ومدنية ، وفي الدور المكي كان يركز الكتاب على العقائد والأصول، بينما في الدور المدني صار يركز الكتاب على التشريعات والأحكام فالكتاب مر بدورين، ولأجل ذلك –يعني لاختلاف المرحلتين في السنخ والأثر– وُضعت حروف في الكتاب تشير إلى القسم المكي من آيات هذا الكتاب ونذكر امثلة على ذلك:

ابتدأت سورة الأعراف بقوله تعالى: (الـمص)، وإذا حسبت قيمة حروفها بحساب الأرقام فالمجموع يكون (١٦١)، فإن الألف=١، واللام=٣٠، والميم=٤٠، والصاد=٩٠، فالمجموع ١٦١، وعدد آيات سورة الأعراف (٢٠٥)، وإذا فرزنا المكي والمدني منها سنجد أن المكي (١٦١) وهو ما يعادل مجموع الحروف المقطعة التي وقعت في بداية السورة.

٢–مثال آخر سورة هود، حيث بدأت بـ (الر)، الألف =١، واللام=٣٠، والراء=٢٠٠، فالمجموع= ٢٣١، وعدد الآيات المكية فيها (١٢٠)، فلابد هنا من ملاحظة السورة التي نزلت بعدها وهي سورة يوسف كما نُقل عن ابن عباس أنهما نزلتا متتابعتين فهما يشكلان وَحدة واحدة وكلاهما بدأ بنفس الحروف المقطعة (الر)، وعدد الآيات المكية في سورة يوسف (١١١) آية، فيكون مجموعها مع الآيات المكية في سورة هود (٢٣١) وهو نفسه مجموع الحروف المقطعة كما أسلفنا.

وإذا ضممنا أيضا سورة الرعد حيث ذكر بعض المفسرين أنها نزلت بعد السورتين سورة الرعد اشتملت على (٤٠) من الآيات المكية وبضمها إلى المجموع السابق (٢٣١) يكون المجموع (٢٧١) ولذلك بدأت سورة الرعد بـ(المر)، فزادت بحرف الميم عن سورة هود ويوسف، وحرف الميم =٤٠، فيكون المجموع (٢٧١).

وكذلك الأمر بين سورة يونس وابراهيم والحجر المفتتحة بـ(الر).

ولابد من التنبيه إلى أننا لا نجزم بأن ما ذُكر في هذا الحقل يمثل حقيقة ثابتة – كما سنذكر ذلك في نهاية الحديث– فهو معتمد على ما رُوي عن ابن عباس في فرز المكي عن المدني وتاريخ نزول الآيات، وإنما نقول ربما يكون في هذه الحروف إشارة من حيث مادتها البنيوية إلى هذا المعنى الذي تطابق مع أغلب الموارد عندما نقوم بحساب ذلك.

الحقل الثالث: الحقل الفني.

بمعنى أن ترتيب هذه الحروف المقطعة لم يكن عبثيا وبأي شكل اتفق بل هي رتبت على نسق فني مميز مما يكشف عن صدور الكتاب من مصمم حكيم، فمثلا: إذا جمعت الحواميم الخمسة في سورة السجدة والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف، فالمجموع (٢٤٠) فإن كل (حم)=٤٨، وإذا جمعت آيات هذه السور الخمس تكون النتيجة أيضاً (٢٤٠).

ومثال آخر أيضاً: ما طرحه الدكتور الكيميائي المصري رشاد خليفة حينما قام بتحليل الربط بين الحروف وبين سور القرآن الكريم حيث لاحظ أن عدد حروف القاف في سورة قاف بالنسبة لعدد حروفها أكثر من أي سورة في القرآن.

وكذلك في سورة صاد حيث تكررت الصاد بالنسبة إلى مجموع حروفها أكثر مما تكررت في سورة أخرى، وكذلك (كهعص)، و(المر) في سورة الرعد.

ولا يوجد كاتب يستطيع على مدة ثلاث وعشرين سنة يقدر أن يراعي هذه الدقة في كتابه حتى في الحروف وعددها، ووضعها مما يكشف عن التصميم الإلهي

كما أن الحروف المتكررة التي لم تختص بسورة واحدة كـ (الم) التي تكررت في عدة سور تجد مجموعها في كل السور يكون أكثر من تكرر هذه الحروف في سور أخرى.

وهناك شيء يبعث على الغرابة والدهشة، وهو أن بعض الحروف التي تكررت يكون عددها تكرارها

بشكل متسلسل، فمثلاً سورة الرعد افتتحت السورة بـ(المر)، والألف تكررت فيها ست مئة وخمسة وعشرين مرة، بينما اللام تكررت أربع مئة وتسعة وسبعين مرة، والميم تكررت مئتين وستين مرة، والراء تكررت مرة مئة وسبعة وثلاثين مرة. وهكذا (الم) في سورة البقرة.

الحقل الرابع: الحقل البياني.

وهو ما دلت عليه بعض الروايات الشريفة من أن هذا القرآن المعجز العظيم بجميع مضامينه قد تألف وتكوّن من هذه الحروف الهجائية، كما في هاتين الروايتين الشريفتين:

الرواية الأولى: ما ورد في معاني الأخبار للشيخ الصدوق (عليه الرحمة) بسنده عن الحسن بن علي العسكري (عليهما السلام) أنه قال: (كذبت قريش واليهود بالقرآن وقالوا: سحر مبين تقوله، فقال الله: " ألم ذلك الكتاب " أي يا محمد هذا الكتاب الذي أنزلناه عليك هو الحروف المقطعة التي منها " الف، لام، ميم " وهو بلغتكم وحروف هجائكم فأتوا بمثله إن كنتم صادقين واستعينوا على ذلك بسائر شهدائكم"...)[٥].

الراوية الثانية: نقلها الشيخ الصدوق (عليه الرحمة) في عيون أخباره بسنده عن الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) قال: (إن الله تبارك وتعالى أنزل هذا القرآن بهذه الحروف التي يتداولها جميع العرب ثم قال: (لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا))[٦].

الحقل الخامس: الحقل العقائدي.

إن مقتضى التدبر هو الإشارة إلى جميع المضامين وجميع المعاني المحتملة في هذه الحروف الشريفة. ومن المحتملات التي تُذكر في هذه الحروف هو الاحتمال التالي:

أن هذه الحروف لو أردت أن تصوغ منها جمل معينة – بعد حذف المكررات منها – فلا يمكن أن تستخرج جملة تعارض وتتنافى مع مضامين الدين، بل لا يمكن أن يُصاغ منها إلا الجمل التي تنسجم تماما

(٥) معاني الأخبار ص٢٤.

(٦) عيون أخبار الرضا –عليه السلام– ج٢ص١١٩.

مع الدين والإسلام، وأعظم هذه الجمل (صراط علي حقٌ نمسكه)، أو (علي صراط حق نمسكه) أو (حق علي صراط نمسكه). وذكر ابن كثير أنه بالإمكان صياغة معنى آخر (نص حكيم قاطع له سر)، بينما الجملة الأولى أفضل اتساقاً وانسجاماً، لكن المهم أن الثانية لا تتنافى مع الدين.

والمتحصل بعد ذكر هذه الحقول:

إننا لو لاحظنا صلاحية هذه المادة البنيوية لأن تستوعب عدة معانٍ في حقول مختلفة فهي تشير بهادتها إلى تاريخ الدور المكي في القرآن الكريم، وقد تشير إلى فن ترتيب الحروف والآيات في القرآن الكريم، وقد تشير إلى مضامين عقائدية، يتحقق لدى الإنسان العاقل المتأمل الاطمئنان والوثوق بأنها حروف سماوية الصنع وليست بشرية.

فلعل الهدف من جعل هذه الحروف في أوائل السور أن تكون مادة تدبرية فإنه من خلال التدبر فيها ينفتح الإنسان على عدة معاني ومضامين لا تتحصل ولا تتحقق في حروف أخرى وفي مادة بنيوية أخرى كما في هذه المادة البنيوية، مما يؤكد ارتباطها بالباري تبارك وتعالى.

ولعل هذا هو المنظور فيما روي عن الإمام علي –عليه السلام– أنه قال: (إن لكل كتاب صفو، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي)[٧] .

وكأن هذا الخبر المروي فيه إشارة إلى أن حروف التهجي مفاتيح للدلالة على عظمة القرآن الكريم.

وبهذا يتم الكلام حول النحو الثاني من أنحاء تفسير الحروف المقطعة وبقي الكلام حول النحو الأخير.

النحو الثالث: وهو ما تعرض له السيد صاحب الميزان (عليه الرحمة) ولكن بعنوان الحدس.

قال رحمه الله في الجزء الثامن عشر من الميزان:

(ثم إنك إن تدبرت بعض التدبر في هذه السور التي تشترك في الحروف المفتتح بها مثل الميمات والراءات والطواسين والحواميم ، وجدت في السور المشتركة في الحروف من تشابه المضامين وتناسب السياقات ما ليس بينها وبين غيرها من السور)٨

مثلاً: سورة البقرة مع سورة لقمان مع سورة الأعراف تشترك جميعها في الإشارة إلى قصة آدم عليه السلام، والجميع يشتمل على إشارة إلى بعض الأوامر الشرعية، فهناك تشابه في السياقات والمضامين بين

---

(٧) مجمع البيان ج١ ص٧٥.

(٨) تفسير الميزان ج١٨ ص٨.

السور التي افتتحت مثلاً بـ(الم)، أو السور التي افتتحت (طس) ونحو ذلك. هذه قرينة أولى، ثم أكد (رحمه الله) على هذا المعنى بقرينة أخرى بتقارب ألفاظ مفتتح كل قسم من أقسام هذه الحروف المتقطعة، فقال:

(ويؤكد ذلك ما في مفتتح أغلبها من تقارب الألفاظ كما في مفتتح الحواميم من قوله: (تنزيل الكتاب من الله)، أو ما هو في معناه، وما في مفتتح الراءات (تلك آيات الكتاب) أو ما هو في معناه، ونظير ذلك واقع في مفتتح الطواسين، وما في مفتتح الميمات من نفي الريب عن الكتاب أو ما هو في معناه).

ثم انتهى إلى التفسير الذي يحدسه، فقال:

(ويمكن أن يحدس من ذلك أن بين هذا الحروف المقطعة وبين مضامين السور المفتتحة بها ارتباطا خاصا... إلى أن قال: ويستفاد من ذلك أن هذه الحروف رموز بين الله سبحانه وبين رسوله (صلى الله عليه وآله) خفية عنا لا سبيل لأفهامنا العادية إليها إلا بمقدار أن نستشعر أن بينها وبين المضامين المودعة في السور ارتباطاً خاصاً).

هذا حاصل ما ذكره، وقد صرح بأن ما ذكره هو من باب الحدس فهو لا يقطع بما حدس به، خصوصا لو لاحظنا القرينتين اللتين أشار إليهما فإن التأمل فيهما بمكان من الإمكان، فإن القرينة الأولى وهي الاشتراك في بعض المضامين لو دققنا فيها لوجدنا أن نسبة المضامين المشتركة إلى المضامين المختلفة تكاد تكون خمسة بالمئة وعشرة بالمئة فلا تصلح أن تكون قرينة على الربط بين هذه الحروف ومضامين السور.

وأما القرينة الثانية وهي تشابه ألفاظ مفاتيح السور، فيمكن أن يقال فيها بأن تعقب هذه الحروف المقطعة بما ذُكر يدل على الربط بين هذه الحروف والكتاب لا على الربط بين هذه الحروف والسورة التي افتتحت بهذه الحروف المعينة.

وزبدة المخض: عندنا طريقان للتعامل مع هذه الحروف المقطعة، الطريق الأول هو طريق التفسير، وعلى مستوى هذا الطريق لا نستطيع أن ننسب إلى القرآن الكريم شيئا بدون دليل، لذلك نقول إن ما يناسب أن يكون تفسيرا لهذه الحروف هو ما ورد في الروايات الشريفة التي سبق بيانها في الجلسة السابقة.

والطريق الثاني هو طريق التدبر وهو أن هذه الحروف مادة بنيوية وضعت في القرآن من أجل أن ينفتح قارئ القرآن على مجموعة من المضامين من خلال هذه الحروف البنيوية، ليصل في نهاية المطاف بتدبره وجمع بعضها ببعض إلى الوثوق بأن هذه الحروف سماوية الصنع وليست بشرية الصنع.

والحمد لله رب العالمين.